ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الأفعال الكلامية الإنكارية في السور المكية (دراسة تحليلية تداولية)

Rhetorical Speech Acts in the Meccan Surahs:

(deliberative analysis study)

بحث مُشترك كل من: م.(عبد العزيز حسن محمد)

أ.د.(إباء يونس رشيد)

قسم اللغة العربية

كلية العلوم الإنسانية، جامعة زاخو

abdulaziz.mohammed@uoz.edu.krd

Teaching: Abdul Aziz Hassan Mohammed

The department of Arabic Language

Human Sciences Authority, University of Zakho

abdulaziz.mohammed@uoz.edu.krd

Prof. Ebaa Younus Rasheed

The department of Arabic Language

Human Sciences Authority, University of Zakho

ebaa.rasheed@uoz.edu.krd

تاريخ استلام البحث: 20 / 7 / 2025 تاريخ قبول البحث: 1 / 10 / 2025

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

... ملخص البحث...

تأتي قيمة هذهِ الدراسة الأكاديمية إلى البحث والوصول إلى ماهية الأفعال الكلامية الإنكارية الواردة في آيات السور المكية، والغرض والمغزى الإنجازي المُترتب عن هذهِ الأفعال، وما لهذهِ الأفعال من التأثير في تصوير الواقع وإنكارهِ من قبل المشركين من الكفار؛ للوقوف على أهم وأبرز مزايا الخطاب القرآني [المكي] في القوة والقدرة الإنجازية على رسم تلك الأحداث، والفعل التأثيري في المخاطبين من الذين في قلوبهم ضعف ووهن، وهذهِ هي مقصدية وغاية ما تروم إليهِ التداولية اللغوية.

قسمنا هذه الدراسة الأكاديمية على توطئة ومبحثين، ثم أعقبناها بخاتمة للنتائج، ثم قائمة لأهم المصادر والمراجع الموثوقة التي رجع إليها البحث.

حيث جاءت التوطئة: لتتناول مفهوم الأفعال الكلامية، من حيث ذكر: تعاريفَها لغة واصطلاحاً، ومن ثم عرجنا على ذكر ما يتعلق بها بشكلٍ عام، وأبرز أركانها التحليلية، ومهامها الرئيسة، وبيانِ المقاصد التي يهدفُ الباث إلى تحقيقها.

المبحث الأول: خَلُصَ إلى كل ما يتعلق بالأفعال الكلامية عند العرب في التراث العربي من خلال بلورة نظرية الخبر والإنشاء، بتفسيرهم للمعاني والألفاظ في تماسك النص، وترابط بنية الخطاب. فضلاً عن كل ما يخص الأفعال الكلامية عند الغربيين، في بيان جهود كل من أوستين وتلميذه سيرل في إرساء دعائم هذه النظرية. أما المبحث الثاني: حاولنا فيه تحليل كل ما يتعلق بالحوار الإنكاري في الخطاب القرآني من خلال السور المكية، مستخدمين كل ما يتعلق بالمنهج التداولي لا سيما ما يتعلق بمبدأ التواصل الحواري؛ أي: من خلال التحليل نستطيع التوصل إلى أغراض المتحاورين والمقاصد التي يرمون إليها مركزين على مقام وسياق الخطاب بمختلف عناصره من باثٍ ومتلقٍ، لتظهر لدينا المقاصد في أثناء السرد والاستعمال الخطابي، وظروف إنتاج المعنى ككل من أجل التوصل إلى القوة الإنجازية المراد تحقيقها.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، دلالة الإنكارية، القوة الإنجازية، الأفعال الكلامية غير المباشرة.

توطئة: دلالة مفهوم وماهية (الأفعال الكلامية) في الدراسات اللغوية

تُعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم المرتكزات العلمية في الدراسات التداولية[1]. وهي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم مراجعها.[2] إذ تقع هذهِ النظرية في موقع متميز من المنهج التداولي في تصورات اللسانيين المعاصرين، وتشكل جزءاً أساسياً من بنية النظرية باعتراف العلماء المؤسسين للتداولية.[3] لذا فإن البحث في هذا المفهوم هو بحث في مضغة التداولية وأساس من أكبر أسسها. ويكاد يقع إجماع الباحثين على أن تطبيق هذا المفهوم الظاهرة على بعض اللغات الغربية قد حقق نجاحا في وصفها وفي رصد خصائصها التداولية، بفعل استثماره في معالجة النقص الواقع في الدراسات البنيوية وسد الخلل الناجم عنها.[4]

لقد أصبح الفعل الكلامي مركز الكثير من المباحث التداولية، ومضمونه يقوم على نظام صوري إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك فهو نشاط مادي نحوي يتمكّن بتوظيف أفعال قولية(القول أو النطق بأصوات) إلى تحقيق أغراض إنجازية كالأمر، والتهديد، والطلب التحذير، والوعد، والقسم. وأهداف تأثيرية تتعلّق بردود أفعال المتلقي من حيث القبول والرفض، إذن: الفعل الكلامي هو الفعل الذي يستهدف التأثير في الآخرين وحملهم على التصرّف[5].

وهذا ما يؤكده ما وردَ في كتاب خطاب الحجاج والتداولية: "إنّ استعمال اللغة ليس معناه إنجاز فعل خاص وإنما هو جزء من التفاعل الاجتماعي؛ أي: أنّه ليس عملاً فردياً، بل هو عملية يتم من

1() لغة الخطاب الإداري – دراسة لسانية تداولية – د. فريدة لعبيدي، ص: 202

(2) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ص:86

3() يُنظر: التداولية... النشأة والمفهوم، مجلة الأقلام، مؤيد عبيد، العدد 5 ، ص: 41

4() يُنظر: الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مسعود صحراوي، ص: 81

5() التداوليات وتحليل لخطاب، د. ذهبية حمو الحاج ، ص:166

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

خلالها تفاعل الأفراد فيما بينهم داخل المؤسسة الاجتماعية؛ لتلبية احتياجاتهم مما يجعل الطابع الوظيفي للغة مهماً"[1].

وتعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم جوانب اللسانيات التداولية لما تحويه من أفكار ورؤى لسانية مهمة، وما تضمه من آليات تشترك فيها مع بقية جوانب اللسانيات التداولية (القصد، والإفادة والحجاج) ولذلك لقيت اهتماماً بالغاً أمره في الدراسات الحديثة. وتقوم نظرية الأفعال الكلامية على فرضية أساسية مفادها "أنّه يقصد بالكلام تبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، ويهدف هذا (الفعل) إلى تفسير وضعية المتلقي ونظام معتقداته ومواقفه السلوكية"[2].

إذ يشغل مفهوم (الفعل الكلامي) موقعاً محورياً في الدراسات التداولية، بوصفه الوحدة الأساسية للتواصل. إذ إنَّ الباعث للتركيز على دراسة أفعال الكلام ببساطة هو: أنّ كلَّ اتصال لغوي يقتضي فعلاً كلامياً، فوحدة التواصل اللغوي هي ليست ما كان مفترضاً، بأنّها الرمز، المفردة أو الجملة، وليست علامة على الرمز أو المفردة أو الجملة، بل هي بالأحرى إنتاج أو إصدار ذلك الرمز أو المفردة أو الجملة في تأدية فعل الكلام.[3] لذا نرى فإنّ النظرية الكلاسيكية لأفعال اللغة تنطلق من الاعتقاد التالي: إن الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني، ليست هي الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي استكمال (إنجاز) بعض أنماط الأفعال.[4] وعليهِ حاول "أوستينAustin" جاهداً تشكيل حيز التفكير الفلسفي للُّغات الطبيعية، وذلك من خلال معارضته للمنظور الفلسفي التقليدي القائم على أن الجمل التي تستحق التحليل والدراسة، هي الجمل الوصفية، أي: تلك التي تخضع لمعيار الصّدق والكذب، أما الجمل التي لا تحتمل الصدق والكذب، فتعد من قبيل الجمل التي لا معنى لها، وبالتالي تعد هامشية.[5] أما جورج يول فيقول: عن مفهوم وتصورات الأفعال الكلامية بأنّه عند محاولة الناس التعبير عن أنفسهم فأنهم لا ينشؤون ألفاظاً

1() يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية ، د.عباس حشاني، ص:103

2() ينظر: مظاهر التداولية ، أ. باديس لهوميل، ص:121

3() يُنظر: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، ص: 41

4() يُنظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة: سعيد علوش، ص:60

5() المنحى التداولي في التراث اللغوي، خديجة الشنقيطي، ص:49

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تحوي بنى نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالاً عبر هذهِ الألفاظ. وفي موضع آخر يقول: بأنّ الفعل الكلامي "ما هو إلاّ فعل يُنجز عبر استعمال لفظ لغرض التواصل".[1] وقد كان لإسهامات رواد نظرية الفعل اللغوي، بالغ الأثر في إقامة صرح النظرية ومدّها بجهاز مفاهيمي هو الذي أطّر الاشتغال داخلها، وهكذا ميّز "أوستينAustin" بين مستويات الفعل اللغوي، ووضع "سيرلSearle" شروط أدائه، فيما وضع "كرايس" القواعد الخطابية للفعل اللغوي.[2] وتأتي أهمية هذه النظرية في أنها غيّرت النظرة التقليدية للكلام التي كانت تنحاز بشدة للاستعمال المعرفي والوصفي له، ونظرت إلى اللغة في بعدها الدينامي أي: باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه؛ وهي بهذا ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل؛ حيث إنّ أيّ معلومة كما يقول: باختين تقدّم لشخص ما هي مثارة بوساطة شيء ما وتسعى إلى تحقيق هدف ما وبعبارة أخرى هي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائر في فلك الواقع الإنساني أو الحياة الاعتيادية.[3]

فاللغة نشاط وعمل ينجز؛ أي: أن المتكلم لا يخبر ويبلغ فحسب بل إنه يفعل أي يعمل، يقوم بنشاط مدعم بنية وقصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال. فاللغة إذن: ليست بنى ودلالة فقط، بل هي أيضاً فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضاً. فهو عمل يطمح من خلاله أن يحدث.[4]

فمن منظور نظرية الفعل الكلامي، لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزاً للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنّما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير عليهِ[5].ونرى أنّ علم اللغة "البراغماتي" يهتم بوجه خاص بتحليل الأجزاء اللغوية

(1) التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، ص: 81-197

2() الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، نور الدين أجعيط، ص:15

(3) نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، ص:80

4() مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص:161

5() يُنظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، ص: 11

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

في الأفعال التواصلية. وينطلق من أنّ التواصل بين الناس فعل (تبادلي) بين الناس (تفاعل) ويحدد نوع التواصل اللغوي وجزئه ووظيفته الخاصة.

وقد استخدم الفعل الكلامي بوجه عام مصطلحاً لهذه الظاهرة في الغالب. وبالنسبة للأفعال المفردة، والتواصلية الخاصة والممكنة من خلال اللغة مثل السؤال والطلب يستخدم في الغالب مصطلح "الأحداث اللغوية" أو "الأحداث الكلامية". إن منطق تحليلات (الفعل الكلامي) هو فكرة أن شخصاً ما عند الكلام.

- **يعبر لغوياً (وليس مثلاً من خلال الحركات "الإشارات").**
- **إنه يقول شيئاً .**
- **إنه موجود في موقف كلامي (موقف تواصلي).**
- **إنه – عادة – يتحدث إلى شخص ما (شريك الحديث).**
- **إنه من خلال هذا الكلام – فعل الكلام – يتأثر بالموقف التواصلي ويؤثر في شريك الاتصال[1].**

إذ إن عمق العلاقة بين المُرسِل والمتلقي يتأتى من سياق الموقف؛ لأن التواصل الإنساني يتم عن طريق اللغة التي تحقق إنجازاً للأفعال الكلامية ذات الطبيعة اللسانية فـ "عند محاولة الناس التعبير عن أنفسهم، فإنهم لا ينشئون ألفاظاً تحوي بنىً نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالاً عبر هذه الألفاظ"، وتأسيساً على ذلك، فإن الحقيقة الوحيدة التي تستند إليها –الأفعال الكلامية– هي ماهية الإنجاز.[2]

إذن تُفسّر مفهومية (أفعال الكلام)، على أنّها تجسيد لحالات الوعي، وتجعله قوة للتجربة في حالة نشاط/عمل بمعنى: أنّ المتكلّم في تأدية الفعل الكلامي يفرض عن قصد شروط إرضاء حالة الوعي التلفظي، وفي حالة الاستقبال يؤوّل المتلقي قصدّياً الملفوظ بوصفهِ عبارة قصدية لحالة قصدية للمتكلّم[3].

1() المدخل إلى علم اللغة ، كارل– ديتر، ترجمه :د. سعيد بحيري، ص: 342–343

(2) أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق، على السور المكية، مثنى كاظم صادق، ص:133

3() يُنظر: التداولية واستراتيجية التواصل، د. ذهبية الحاج حمو ، ص: 191

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وعليه، نرى مما تقدم عن مفهوم الأفعال الكلامية بأنّها: عبارة عن شبكة من المفاهيم اللغوية، ومنظومة محورية من التواصل الخطابي والمعرفي. لذا تُعدّ هذهِ النظرية [نظرية الأفعال الكلامية]، من خلال التوجه العلمي، بأنّها: قدرة استعمالية ذات مضامين وأغراض تفاعلية، وهيكليّة واسعة وشاملة من الممارسات اللغوية التي لا تُعدّ فقط مجرد بنيات شكلية لنقل المعلومات، بل على العكس هي انجاز أفعال واقعية تطبيقية من خلال ممارسة حيثيات اللغة.

المبحث الأول: جهود كل من العرب والغربيين في بلورة واستنهاض الأفعال الكلامية:

تحكمت أغراض المتكلمين وقصودهم في رؤية العلماء العرب وتفسيرهم "للأفعال الكلامية"، فقد تم تناولها عند البلاغيين ضمن مبحث علم المعاني، الذي يختص بتتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام، وتحديداً ضمن الظاهرة اللغوية "الإنشاء والخبر"، وتعد الإفادة قرينة تداولية كبرى، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة، فقد كانت مراعاتها عنواناً على أي دراسة لغوية وظيفية جادة.[1]

واتجه الأصوليون والفقهاء إلى منحى دراسي متجه إلى المعنى والغرض، كي يحققوا غاياتهم الدراسية، نسميه بلغة عصرنا: المنحى التداولي، والذي كان أكثر استجابة لطبيعة النص المدروس ولغرضهم العلمي من وراء الدراسة، فتعاطوا أساليب النصوص الدينية ومعانيها تعاطياً تداولياً، ودرسوا –ضمن نظرية الخبر والإنشاء – "ظاهرة الأفعال الكلامية"، واستنبطوا عبر الجمع بين المنطلقات والمفاهيم النظرية من جهة والنصوص التطبيقية من جهة أخرى أفعالاً كلامية جديدة من الأساليب الخبرية أهمها: الرواية والشهادة، والوعد والوعيد، والدعوى والإقرار، والكذب والخلف. واستنبطوا أفعالا كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية أهمها: الإذن والمنع، والندب، والإباحة والتخيير، والتعجيب، وألفاظ العقود والمعاهدات والإيقاعات.[2] ويُشكل مفهوم "الخبر والإنشاء في التراث العربي بعامة سواء عند اللغويين أم البلاغيين أم الأصوليين باباً مهماً يقف على قدم المساواة، مع ما تعرضه نظرية أفعال الكلام "لأوستينAustin"

1() الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، نور الدين أجعيط، ص:157

(2) الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مسعود صحراوي، ص:129–130

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

التي طوّرها من بعدهِ "سيرل"، فالخبر ما قبل الحكم عليه بالصّدق أو الكذب انطلاقاً من مطابقته للخارج أو عدم مطابقته، والإنشاء ما لا يقبل ذلك الحكم، ويتميز بأنّ مجرد النطق به هو تحقيق له وإنجاز على أرض الواقع. الأحداث أو الوقائع الخارجية إما أن تكون واقعة في الخارج، ولها وجود فيه، وإما أنها لم تقع؛ فإن أتي الكلام مطابقاً لإحدى الحالتين، فإن طابقها فإن الخبر صادق، وإلا فهو كاذب؛ فمرد الصدق والكذب إلى مطابقة الكلام الواقع الخارجي.[1]

وتندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديداً، ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ"الخبر والإنشاء" وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تُعد نظرية الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية. وهي الأفكار ذاتها التي جعلت "أوستينAustin" يبني نظريته للفعل الكلامي، من خلال الثورة على آراء الفلاسفة الوضعيّين، ليميّز بين الأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية على أساس درجة تحقّقها في الخارج وموقف المتكلم منها.[2]

وصنيع العلماء العرب هذا يُوافق ما هو متداول عند المعاصرين. فالتداوليون المعاصرون لا يدرسون "الأفعال الكلامية" مجردة عن سياقها الكلامي والحالي، أو معزولة عن غرض المتكلم، وإنما يدرسون إنجازية تلك الأفعال ولا يعدونها "أفعالاً كلامية" إلا بشرط أن تتحقق هويتها الإنجازية في السياق عبر الاستعمال، ولا ينبغي لنا أن نغترّ بكون بعض المعاصرين يحاولون وضع لائحة للأفعال الكلامية من دون ذكرٍ، أحياناً، لسياق الكلام أو الحالي. فإنما المرجع النهائي لأولئك التداوليين في تحديد مجالها الدلالي والتداولي لن يكون إلاّ لسياق الكلام وسياق الحال و"قصدية" المتكلم، إذ هي من أكبر القرائن على فهم الغرض من الكلام ودلالته. ومن ثم فإننا نؤكد اندراج الظواهر الأسلوبية، عند العلماء العرب، في إطار تداولي صريح.[3]

1() آفاق التداولية في النصوص النثرية، محمد عبدالسلام الباز، ص:255

(2) مظاهر التداولية، باديس لهوميل، ص:121-123

3() التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص:53

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فأين تكمن إبداعية التداولية؟ الجواب: تكمن إبداعية التداولية: أولاً، في تحويل النظر والتأمل والتدبر من المعنى الظاهر إلى الدلالات الخفية، ومن دراسة اللغة الأدبية وحدها إلى إغنائها بدراسة اللغة العادية، من تفكيك بنية الملفوظ إلى إثرائها بالعناية بالمتلفظين وشروطهم التاريخية وأحوالهم النفسية وأوضاعهم الاجتماعية. وثانياً، في فتح أبواب التأويل على مصاريعها، وذلك منذ أن وضع فقهاء ومفكرو الإسلام أسس التأويل، ومنذ أن أبدع "بيرس"[1] مفهوم "المؤوِّل" العقلي أو الذهني أو الفكري. ويعني به أن الفكر يكون في حالة ممارسة التأويل كلما وجد الشخص المؤول أمام علامة لغوية أو غير لغوية. فلا جدال في أن التأويل يرغب عن التقليد والاتباع والتكرار. وهذا يعني أن التأويل يرغب في التجديد والتحديث والابتداع والابتكار.[2]

إذن: هناك بعض نقاط التلاقي بين ما تناوله العلماء العرب القدامى وبين ما يقترحه المحدثون وفلاسفة اللغة، نحو:

الأولى: دراسة ظواهر الإحالة، أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها.

والثانية: الاهتمام بدراسة أفعال الكلام.

والثالثة: ربط خصائص البنية بالأغراض المستهدف إنجازها باللغة.

والرابعة: دراسة مجالات الترابط بين البنية والوظيفة. [3]

1() شارل ساندرز بيرس Ch. S. Peirce (1839-1914) مفكر وفيلسوف أمريكي. ورائد السيميولوجيا الإنكليزية ومؤسس البراغماتية الأمريكية، ومن مؤلفاته: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ ويُعدّ مؤسس الفِعْلانية أو العَمَلانِيَّة مع وليم جيمس. كما يُعد، إلى جانب دي سوسير أحد مؤسسي السيميائيات المعاصرة. اشتغل محاضرا في المنطق بين "1879 و1884" بجامعة جون هوبكنز. وفي عام 1887 انتقل، إلى بنسلفانيا حيث بقي إلى أن توفي بسبب السرطان بعد 26 سنة من الاشتغال الغزير بالكتابة. (اللسانيات– اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: 267)

(2) النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، محمد سويرتي، ص:232

3() في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص: 142

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وفي المحصلة مما تقدم عن جهود وإسهامات العلماء العرب في التراث العربي فيما يتعلق بتفسير الخطاب من خلال دور الأفعال الكلامية، نجد أنّه يجب أن لا ننسى أن الناظر في التراكمات العلمية القديمة عند العرب [التراث]، لا سيما علماء النص القرآني، وعلماء الأصول والنحاة وأهل البلاغة أمثال الجرجاني، والزمخشري، والسكاكي، قد أمعنوا النظر ودرسوا كل ما هو متعلق بالخطاب والنص في الحالات التي من شأنها أن تدل على التركيب والسياق والنصية المتكاملة، أي: لم ينظروا إليها على أنها أجزاء منفصلة أو نماذج مشتتة، كما أنهم لم ينظروا إلى اللغة على أنها مجرد أصوات يصدرها المتكلم فقط، ولا قواعد مُركبة من دون معنى.

ولكن ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وهو من أنّ حيثيات الخطاب، موجهة إلى المُرسَل بعينه، وهذا بدورهِ يحمل معنىً محدداً في سياق تواصلي محدد، وهذا بدليل ما أكدت عليه النصوص التراثية عند العرب من خلال فكرة الترابط والتماسك في إنتاجهم لثنائيات من قبيل العام/الخاص، المطلق/المقيد، المُحكم/المتشابه، فهذا دليل على الترابط البنيوي العام لدى علومهم.

ونجد أيضاً أنّه ما ظهر من إرهاصات التداولية عند العرب القدامى، ولم يتم تسميتها بهذا المسمى في حينها أنذاك، فقد ظهرت في علم البلاغة وخاصة في علم المعاني، والذي بدورهِ قام بالتركيز على كل ما هو متعلق بالمطابقة ما بين الكلام والمقام، حيثُ أكدّ البلاغيون على أنّ مستوى الخطاب ينبغي أن يتناسب مع حال المخاطَب والموقف.

وكذلك ناقشوا مسألة كل ما يتعلق بـ(السياق) في فهم المعاني، وهذا يمثل أحد الأسس التي تقوم عليها التداولية المعاصرة.

حيثُ تُعد كُلّ من نظرية الخبر والإنشاء ودلالة (السياق)، عند البلاغيين والأصوليين العرب دوراً هاماً وبارزاً في تماسك النص، وترابط بنية الخطاب؛ لتحقيق التفاهم المُراد إنجازهُ وإنجاح عملية التواصل، والذي من شأنه يجسد معاني مقصودة، ويشكل أرضية خصبة للتفاعل الناجح ما بين المتخاطبين.

لذا فمن خلال كفاءة المتلقي في فهم مقصود المتكلم، مع وعي بالغ الأهمية بما هو موجود، أي: الدراية التامة بدلالة (السياق)، هذا كله يجعل من التفاهم التحاوري، والتفاعل التداولي، يفجران

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

القدرة في الوصول إلى المعنى المنشود من خلال أدوات الخطاب، وكذلك مستوى المقام ما بين كل من المتكلم/المُرسِل والسامع/المُتلقي.

وعليهِ، نرى أنّ اللغة في الأصل هي وليدة التعبير عن المعاني، وأنّ الألفاظ هي قوالب حاوية لهذهِ المعاني، أي: أنّ هذهِ الألفاظ تحمل معاني دلالية إنجازية، من خلال ما أفصح عنه العلماء العرب سابقاً، وأكدّ عليه الغربيون لاحقاً في تطبيقاتهم من أنّ المعنى ذات دلالة استعمالية أكثر مما تعطيه الصورة الحرفية. وهنا نؤكد على وجود صلة فكرية تمتد ما بين السابق واللاحق بين العلماء العرب والغربيين.

الأفعال الكلامية عند الغربيين:

أفعال الكلام ليست نظرية لسانية محضة، بقدر ما هو مقاربة فلسفية لبعض القضايا التي تثيرها اللغة الإنسانية. ويعود الفضل في تعميق الفهم بالأفعال الكلامية إلى الفيلسوف الإنجليزي "أوستين Austin" في كتابه How To Things With Words، هو عبارة عن (12) محاضرة ألقاها سنة 1955م بجامعة هارفرد حول فلسفة "وليام جيمس"[1] توخى منها وضع بعض أسس الفلسفة الإنجليزية موضع السؤال والتشكيك، خاصة ما يتعلق بوظيفة اللغة.[2] نشأة فكرة (أفعال الكلام) أو (أفعال اللغة)، من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة –مجال نشأة التداولية وتطورها– وهو: أن "الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضاً في الوقت نفسه". وذلك بعدما كانت

(1) عالم وفيلسوف أمريكي من أصل إيرلندي. ولد في نيويورك، وله العديد من المؤلفات: الإرادة والاعتقاد ومبادئ علم النفس والبراغماتية. وتلقى العلم والفلسفة في معاهد وجامعات أمريكية وإنكليزية وفرنسية، حتى حصل على الدكتوراه في الطب من جامعة هارفرد عام 1869. وهو من الدعاة البارزين للذرائعية والبراغماتية حتى أنّه لُقب بـ(إمام البراغماتية). (يُنظر: أعلام الفكر الفلسفي المُعاصر، فؤاد كامل، ص:105–107)

(2) التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص:86

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياساً وحيداً للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب. ممّا حصر العبارات اللغوية في منوال واحد؛ هو العبارات الخبرية؛ كأن تصف واقعاً ما. ويُحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع.[1]

وهكذا جاءت نظرية أفعال الكلام "لأوستينAustin"، لتجسد موقفاً مضاداً للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي؛ الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة مجردة عن سياق خطابها اللغوي، إضافة إلى ما وصفه "أوستينAustin" بالاستحواذ أو التسلط المنطقي؛ القائل بأن الجملة الخبرية هي الجملة المعيارية، وما عدها من أنماط مختلفة للجملة هي مجرد أشكال متفرعة عنها.

وانطلاقاً من هذا اعترض "أوستينAustin" على توجه النزاعات الصورية التي لم تهتم إلا بالجمل الخبرية، ساعياً إلى رسم مسالك جديدة لتناول الظواهر التي استهدف البحث فيها. فاللغة ليست مجرد أداة للإخبار والوصف، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، وعليه فموضوع البحث يرتكز على ما نفعله بالتعابير التي نتلفظ بها.[2] وعليه أكدّ "أوستينAustin" من ملاحظة بسيطة مفادها أنّ الكثير من الجمل التي ليست استفهامية، أو تعجبية، أو أمرية، لا تصف مع ذلك أيّ شيء ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب. وبالفعل، لا تستعمل هذهِ الجمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئاً عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها.[3]

1() في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص:89

(2) يُنظر: من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، رضوان الرقبي، ص:26

3() التداولية اليوم، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوش، ص:30

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وقد أضافت هذه النظرية تطوراً إبستمولوجياً[1] جديداً في علم اللسانيات الحديثة ترتب عليه إعادة النظر في موضوعه من حقل يدرس الأقوال إلى مجال تدرس فيه الأقوال المقرونة بالأفعال، كما ترتب عليه إعادة النظر في طبيعة اللغة، واستخدامها.[2]

ولهذا نشأت نظرية "أفعال الكلام" في مناخ فكري، تميز بالإعراض عن الأسلوب القديم للبحث الفلسفي، خاصة جانبه الميتافيزيقي، وأولى اهتماماً بالغاً للغة "دراسة وفهماً وتوضيحاً للغة المتداولة بين أفراد المجتمع تحديداً"[3].

وتُعد محاضرات "أوستين Austin" اللبنة الأولى في بناء صرح التداولية، وذلك عندما منح لأفعال الكلام مفهوماً جديداً، فقد تجذرت التداولية من خلال أعمال هذا الفيلسوف، الذي قام ضد التقاليد التي تربى في أحضانها، والتي ترى أن اللغة تصلح لوصف الواقع فحسب [4]. والمحاضرات يعتبرها صاحبها ثورة في تجديد الفكر الفلسفي واللساني بوجه عام.[5]

وإن تناول "أوستين Austin " للغة من زاوية تجريبية قاده إلى عدها شيئاً متصلاً اتصالاً وثيقاً بالطبيعة البشرية في جانبيها الرئيسين وهي: القوة الإبداعية والقدرة العقلية التي تتحكم في رسم بنية العالم.[6]

إذن: تذهب "نظرية أفعال الكلام" إلى التأكيد على أن العبارات اللغوية، لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنما تختلف حسب عدة عوامل منها السياق، فضلاً عن ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد

1() تتكون كلمة الإبستمولوجيا من مقطعين الأول هو Epistemo وهو مشتق من الكلمة الإغريقية Episteme بمعنى المعرفة، أما المقطع الثاني Logy فيعني العلم بوجه عام. ومن ثم فقد أطلق الكثيرون على الإبستمولوجيا (علم المعرفة). (الأبستمولوجيا التكوينية، جان بياجيه، ترجمة وتقديم: السيد نفادي، ص:24)

(2) مدخل إلى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، ص: 103-104

3() يُنظر: تداوليات الخطاب السياسي، أ. نور الدين اجعيط، ص:67

4() م. ن... ص:68

(5) نظرية أفعال الكلام- كيف ننجز الأشياء بالكلام- جون أوستين، ترجمة: عبدالقادر قينيني، ص:6

(6) اللسانيات- اتجاهاتها وقضاياها الراهنة- د. نعمان بوقرة، ص:185-186

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

دلالة اللفظ وقوتها. وعليه تحول الاهتمام من الجملة في ذاتها (نمط) إلى البحث في مختلف تمظهراتها (موقع). ومن ثم تم الانتقال من الإحالة اللسانية إلى إحالة المتكلم.[1]

ويمكننا تلخيص فكرة "أوستينAustin" في نقطتين اثنتين:

1- النقطة الأولى: تتمثل في رفضهِ ثنائية: الصدق والكذب.

2- النقطة الثانية: تتمثل في إقراره بأنّ كل قول عبارة عن عمل[2].

وجاء "سيرلSearle" ليكمل ما بدأه أستاذه "أوستينAustin"، ليرى "سيرلSearle" أن الفعل الإنجازي: "هو وحدة الاتصال الإنساني للغة" وكذلك الفعل الإنجازي "هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة" وهو أيضاً الوحدة الأولية للاتصال. وأعاد "سيرلSearle" النظر في تصنيف "أوستينAustin" للأفعال الإنجازية، فبين ما فيه من ضعف، وقدم تصنيفاً بديلاً [3].

لقد قام "سيرلSearle" بتنظيم فكر "أوستينAustin" فيما يتعلق بتفسير أفعال اللغة، وتصنيفها والاهتمام بظاهرة القصدية؛ إذ هو الذي يقول: "إنّه لأسباب مستقلة نكشف أنّ هناك خمس طرق لاستعمال اللغة، خمسة أصناف لاستعمال الفعل الإنشائي كأن نقول للآخرين: كيف هي الأمور (الإثبات) ونحاول القيام بعمل ما (التوجيه)، ونلتزم بفعل شيء ما (الوعد)، كما نعبّر أحاسيسنا ومواقفنا (التعبيرية)، ونقوم بتغييرات في الواقع عن طريق (الإعلان)" [4].

ووجدنا أيضاً أنّ أفعال الكلام، في رأى "سيرلSearle" هي أقل الوحدات في التواصل اللغوي، أو قُل إنّ الفعل الكلامي هو أقل وحدة في استعمال اللغة الفعلي، وخلال تطويره لنظرية "أوستين" في أفعال

(1) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، ص:79

2() مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ص : 22

3() نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة ، محمد مدور، ص:51

4() التداولية واستراتيجية التواصل ، د. ذهبية حمو الحاج ، ص: 188-189

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الكلام، أفاد أيضاً من إسهامات "بول كرايس" في هذه النظرية بخاصة نظريته القصدية في المعنى والمبادئ العقلية للتعاون التخاطبي.

على أنّ "سيرلSearle" لم يقنع بتقديم نظرية في استعمالات اللغة فحسب. وسر ذلك هو اعتقاده بأنّه حتى عندما نصنف استعمالات الأفعال تصنيفاً جيداً ونفهم معانيها فهماً كاملاً، سوف تبقى مشكلات فلسفية حقيقية تتطلب حلاً، مثل طبيعة الالتزام والمسؤولية وإنجاز الأفعال بحُريّة وإرادة وعقلانية[1].

والأمر نفسه يتحقق مع الأفعال الآتية:

- **أتمنى لكم سفراً ممتعاً .**
- **أرجو منكم المعذرة.**
- **نشكركم على حسن انتباهكم.**

لا يمكننا أن نصف هذه الأقوال "بالصدق" أو "الكذب"؛ إذ إنّ كل ما يمكن أن نقوله هو أن هذه الأقوال قد تنجح أو قد تُخفق أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أو لا. ويُسمي "أوستينAustin" هذه الأقوال "بالأفعال الأدائية "[2].

المبحث الثاني: بيان وتحليل مفهوم (الأفعال الكلامية الإنكارية) في السور المكية:

في بداية هذا المبحث من هذه الدراسة سنحاول الكشف عن الدور الذي تقوم به" الأفعال الكلامية الإنكارية" في السور المكية من إحداث التوكيد والإقناع، ودحض أفكار المنكرين والجاحدين، وتفنيد

1() العقل واللغة والمجتمع ، جون سيرل ، ترجمة وتقديم : صلاح إسماعيل ، ص: 31-32

2() مدخل إلى اللسانيات التداولية ، الجيلالي دلاش ، ترجمه : محمد يحياتن ، ص:22

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أكاذيبهم وما هم عليه من الضلالة، وكذلك كيفية التأثير في المتلقي من خلال بلاغة الخطاب الحجاجي. وقد اتبعنا منهجاً يقوم على أساس دراسة الآيات الكريمة بحسب وقوعها في السور المكية وسنختار من كل سورة آية أو آيتين تجسد لنا الحالة الخطابية التي تدل على معنى الإنكار، فضلاً عن دراسة المعاني الثانوية الأخرى، وبحسب ما يقتضيه السياق من ذلك، حتى يكون الاختيار واضحاً للتحليل، لتظهر لنا ما تقدمه التداولية من خلال عمليات التواصل الحوارية للمعاني القصدية. ونجد أنّ الآيات القرآنية بشكلٍ عام، وخصوصاً المكية منها، لها الكثير من المعاني التواصلية التداولية، لا تقتصر، أو ترتبط ببنيتها التركيبية؛ أي: من خلال التركيبة اللفظية فقط، أو دلالة المفردة حصراً، بل تسعى للوصول إلى أبعد من ذلك، آلا وهو المكمن الإنجازي، الذي يكون خلف التراكيب النحوية والدلالية. وانطلاقاً من ذلك فإنّ "نظرية الأفعال الكلامية" تؤدي الدور الرئيس في عملية التخاطب وذلك من خلال بلورة الأفكار والمقاصد لدى المتخاطبين من ناحية، وتواصل واستمرارية الخطاب بين الأطراف من ناحية أخرى. ومن خلال البحث والاستقراء تبيّنَ لنا، أنّ السور المكية وآياتها، كثيراً ما تسلط الضوء على التوحيد الخالص بالله، وتستشهد أيضاً بقصص الأنبياء والرسل السابقين، وذلك لتثبيت مسائل العقيدة الصحيحة على من يحاول إنكارها، وتحذير المشركين؛ لأن أغلب المخاطبين هم معاندون ينكرون ذلك. وتكرار الأغراض "الإنكارية" من خلال الأفعال الكلامية، ما هو إلا دليل بارز وحجة بالغة الأهمية على الإقناع والتأثير في من يحاول (الجحود والإنكار) في "ثبوتية ووحدانية" الخالق وفي كتابه الكريم، وكذلك في إثارة انتباه المتلقي ومشاعرهِ، وأنّ هناك رسالة تبليغيه، ذات مضامين استدلالية، تحملُ في معانيها الكثير من التوجيهات الإرشادية، والفوائد الإنجازية الحوارية، ذات الأبعاد التداولية. وكذلك جاءت" الأفعال الكلامية الإنكارية" غير المباشرة، والمغزى الكلامي من خلال العملية التواصلية، هو القيام بإيصال رسالة إلى المتلقيّن، الهدف منها عملية التبليغ، وإقناع المعانديّن الجاحديّن لوحدانيّة الله، وكذلك تفنيد مزاعم المنكرين من الكافرين والمشركين، ونقض أفكارهم. ومن الجدير بالملاحظة من أنّ السمة العامة لمسار وأسلوب الاستفهام يستدعي المزيد من الجوانب والأسئلة المضمرة، أي: المخفية داخل النص والسياق القرآني، والوصول إليها لا يكون إلاّ من خلال الخطاب الحواري الموجه من القوة الإنجازية التي تتولد عنها المعاني، وما لهذه الأفعال من فاعلية وحضور في الكلام التداولي.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

إذ تتجسد من خلال هذا الأسلوب الاستفهامي نمط معين من التوجيه والايحاء الملفت للانتباه، مما ينبني عليه الحث على التفكير المستمر، والتدبر الإدراكي في حيثيات ما تؤول إليه طبيعة العلاقة بين أطراف الحوار من وقائع وأحداث.

لذا فمن خلال هذهِ الصورة التداولية التي يشغلها الاستفهام، وعن طريق الأفعال الكلامية يمكننا التعرف على قدر كبير من المعاني الوليدة، والمفاهيم والتفسيرات الجديدة التي تتناغم مع بنية السياق والمنطق العقلي، هذا وفضلاً عن ذلك أنّ هذا الأسلوب الخطابي الذي له التأثير الكبير على مشاعر ونفوس المتلقين، وبالتالي تفضي لنا هذهِ العملية إلى مسارات وتأويلات عصرية تخدم كل ما هو جديد في كتاب الله. إذن: فمن خلال السياق التخاطبي المحلى بالاستفهام والمأخوذ عنه بمنهجية الاستعمال في السور المكية نجد أنّ الكلام التداولي يخاطب العقول بكل ما هو منطقي، وحجة ظاهرة؛ أي الحقيقة التي لا ينقصها برهانٌ أو دليل. فطبيعة النمط والأسلوب الاستفهامي في القرآن الكريم بعامة، والسور المكية بخاصة نجد أنه يعمل على إيقاظ العقول لمعرفة الحقائق، ويحفز الفكر إلى مزيد من حسن التدبر، ويُثير العواطف والمشاعر الوجدانية، من خلال مصدر التأثير الذي يحدثه الأسلوب الاستفهامي؛ لأنه يعالج فضول ولهفة السائل والباحث عن كل ما هو مجهول، وهذا أسلوب بديع انفرد به الخطاب القرآني المكي على وجه التحديد. وتأسيساً على ذلك، فإنّ السؤال الاستفهامي لا يأتي لمعرفة أو لطلب علم – وهذا حاشا لله تعالى محال– والله يعلم ما في الأنفس وما تخفي الصدور، أي: لا يعني المعنى الحرفي للاستفهام، فهو يستفهم عن حيقيقةٍ ما ليقررها، أو لينكر أمراً معيناً، أي: نجد أنّ الأسلوب الاستفهامي الوارد في القرآن الكريم هو على سبيل الاستفهام البلاغي والمسمى أيضاً بالمجازي وليس المراد منه المقصود الحقيقي. والمطلوب هنا في هذهِ الدراسة "الإنكاري" فقط، أي: إنكار المخاطب لما يُستفهم عنه. وهذا النمط بهذا المعنى كثير في كتاب الله تعالى لِمن أراد التتبع والإحصاء. ويمكن الوصول أيضاً إلى ملاحظة تداولية أن الاستفهام غير المباشر، من خلال الأفعال الكلامية، لها العديد من المجالات الإنجازية، أي: ما تحمله من مقاصد داخل السياق القرآني، وخاصة في (السور المكية)، فعلى سبيل المثال، قد تحمل معاني وغايات مجازية تواصلية، مثل: التوبيخ، أو التكذيب، أو التنبيه أو الإنذار، أو التهديد أو الوعيد، أو التهكم والسخرية، والعديد من المعاني المصاحبة للأفعال الإنكارية. إذن: يمكن

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الوصول والاستدلال إلى نقطة رئيسة في غاية الأهمية، من خلال تداولية الخطاب والمنهج القرآني عبر المعاني والأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية المتعددة، إلى صرف وتحويل واقع ما كان عليه المتلقي من الضلال إلى الهداية، وسبيل الرشاد. لذا جاءت النظرية "الإنكارية" لتكون وسيلة أساسية ومناسبة، لتحقيق ذلك الهدف المنشود من خلال الأفعال الكلامية. وقد طُبقت هذهِ النظرية على الخطاب القرآني – المكي– في سياقات مختلفة. وعليهِ فنقول ونؤكد أنّ "الأفعال الكلامية الإنكارية" ما هي إلا منظومة حيويّة، ذات أبعاد تواصلية، تُساعد على فهم النص التحليلي للقرآن الحكيم، وكذلك الكشف عن مقاصده ومدى بعدهِ (الإنجازي) و(التأثيري) في المُتلقي. و"الإنكارية" إذن خيرُ برهانٍ ودليل على المضمون من هذا الشيء، في الوصول إلى الأهداف الرئيسة. ومع أنّ الفعل "الإنكاري" يمثل ملمحاً بلاغياً واضحاً وبارزاً في النصوص، غير أنّه يأتي في سور كثيرة من القرآن الكريم مصحوباً بمعانٍ وأغراض أخرى، وخصوصاً السور المكية وآياتها، ويمكننا أن نرتبها بالشكل الآتي:

* الإنكار مع التوبيخ:

للأفعال الكلامية مواطن ومواضع عديدة، مما جاء عن معنى الإنكار ممزوجاً بالتوبيخ نجده في قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنعام:32]، هذه الآية جاءت تعقيبا على مواقف منكري البعث، واغترارهم بالحياة الدنيا، فحط الله من شأن الحياة الدنيا وحصر متاعها في اللهو واللعب. ثم رفع من شأن الحياة الآخرة التي يكذب بها منكرو البعث. وقد ورد في جملة الفاصلة هذا الاستفهام: (أفلا تعقلون)؟. أهمل الزمخشري توجيه هذا الاستفهام. أما الأوسي فيرى أن الاستفهام للتنبيه والحث على التأمل. ويرى بن عاشور أن الاستفهام في الآية للتوبيخ والتحذير باعتبار المخاطب، فهو بالنسبة للمشرك توبيخ وبالنسبة للمؤمن تحذير.[1]

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية. وهو جواب لقولهم (إن هي إلا حياتنا الدنيا). وقوله: (وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ)، لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها، وقوله: (للذين يتقون) تنبيه على أن ما ليس من

1() التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، عبدالعظيم المطعني، ج/1، ص:300

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أعمال المتقين لعب ولهو. (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ، أي: الأمرين خير. وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به، او تغليب الحاضرين على الغائبين.[1] (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) فانتبهوا فلا تغتروا بما فيها من ملذات فإن نعيمها إلى زوال، وما شأنها إلا شأن من يلعب أو يلهو، فلا يحصل على طائل من لعبه ولهوه، أما الدار الآخرة فإنها خير ولكن للذين يتقون الشرك والشر والمعاصي، فما لكم مقبلين على الفاني معرضين عن الباقي (أفلا تعقلون؟!).[2]

والاستفهام عن عدم عقلهم مستعمل في (التوبيخ) إن كان خطاباً للمشركين، أو في التحذير إن كان خطاباً للمؤمنين. على أنّه لمّا كان استعماله في أحد هذين على وجه الكناية صحّ أن يُراد منه الأمران باعتبار كلا الفريقين.[3]

إذن: فالاستفهام هنا للتوبيخ، والمعنى اعقلوا هذه الحقيقة، واعرفوا قدر الدنيا وقدر الآخرة والمراد بالعقل هنا عقل الرشد لا عقل التكليف؛ لأن هؤلاء يعقلون لكنها ليست عقول رشد.[4]

والخلاصة: أن هذا الاستفهام الأولى حمله على الإنكار، إنكار عدم العقل مع الحث والاستنهاض على إعمال العقل في الموازنة بين الحياتين الدنيا والآخرة، والسعي إلى العمل للحياة الباقية. أما التوبيخ وغيره فمعان تابعة.[5] وعليهِ فالاستفهام هنا يخرج عن إطار وظيفته اللغوية لغايات بلاغية خطابية، يُحددها المغزى والغرض التداولي، أي: من خلال الأفعال الكلامية المصحوبة بالإنكار، وانطلاقاً بما يكشف عنه المقصد "السياقي"، نصل إلى منحى آخر وهو: الإنكار المصحوب بالتوبيخ.

ومما جاء في آيات الله تعالى من السور المكية فيما يتعلق بالأفعال الكلامية الإنكارية المصحوبة بالتوبيخ، قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

1() تفسير البيضاوي، الإمام القاضي ناصرالدين، ج/2 ص: 403-404

2() ايسر التفاسير، أبي بكر جابر، ج/2 ص: 51-52

(3) التحرير والتنوير، لأبن عاشور، ج/7، ص: 195

(4) تفسير القرآن الكريم – سورة الأنعام- محمد بن صالح العثيمين، ص:168-169

5() المصدر السابق... التفسير البلاغي للاستفهام ، ص: 301

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

[الأنعام: ٧٤]، المقصود هنا أن إبراهيم –عليه السلام– وعظ أباه في ترك عبادة الأصنام، وزجره عنها ونهاه.[1]

حيثُ جاء في آيتنا هذه هذا الاستفهام الغاضب: ((أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهةً....))؟. لا تنفع ولا تضر وليس لها من الأمر شيء.[2] أي: أتجعلها آلهة لك تعبدها.[3] ومعناه: أتعبد حجراً يا أزر؟ وهذا الخطاب على وجه الإنكار، ثم قال تتخذ أصناماً آلهة تثبيتاً لذلك وتقريراً، وهو داخل في حكم الإنكار؛ لأنه كالبيان له.[4] والإتخاذ بمعنى الاقتناء.[5] وفضلاً عن ذلك فإنّ الاستفهام المجازي هنا جاء للدلالة على الإنكار والتوبيخ.[6] وقوله تعالى: (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ) ، أي: الابتعاد عن الحق. (مُبِينٍ) ، يعني ظاهر الظلالة.[7]

ومازال السياق في بيان للذين يعدلون بربهم أصناماً يعبدونها لعلهم يهتدون فقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر))، أي واذكر لهم قول إبراهيم لأبيه آزر: ((أتتخذ أصناماً آلهة)): أي أتجعل تماثيل من حجارة آلهة. تعبدها أنت وقومك ((إني أراك)) يا أبت ((وقومك في ضلال مبين)) عن طريق الحق الذي ينجو ويفلح سالكه. ومن هداية الآيات:

1–إنكار الشرك على أهله، وعدم إقرارهم ولو كانوا أقرب الناس إلى المرء.

2–فضل الله تعالى وتفضله على من يشاء بالهداية الموصلة إلى أعلى درجاتها.[8]

1() المصباح المنير، لأبن كثير، ج/7، ص:429

(2) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ج/7، ص:240

(2) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ج/7، ص: 428

(4) الكشاف، للزمخشري، ج/7، ص:334

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص:37

(6) التحرير والتنوير، ج/7، ص: 312

7( ) تفسير البيضاوي، ج/2 ص: 422–423

8() ايسر التفاسير، ج/2 ص: 80–81

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

والخلاصة: إن الإنكار هو المعنى الرئيس الذي استعمل فيه هذا الاستفهام. أما المعاني التابعة فقد ذكر منها ابن عاشور التوبيخ، وبقي معنى آخر يُقدَّم على التوبيخ وهو: التسفيه. وإبراهيم- عليه السلام- يرمي أباه وقومه على اتخاذهم الأصنام آلهة بالطيش والسفه؛ لأن من كان عنده عقل رشيد يبرأ من هذا الضلال البيّن.[1]

إذن: الذي نراهُ أنّ الاستفهام المجازي هنا جاء إنكارياً – أصالةً- مشوباً بالتوبيخِ، إضافةً إلى تسفيه إبراهيم لقومه من عبادتهم للأصنام. وهذه التداولية الحوارية المصحوبة بالإنكار واللوم الشديد ما هي إلاّ موقف حاسم من قِبل النبي إبراهيم في مواجهة الباطل والشرك البواح من خلال انحراف المشركين عن الطريق المستقيم بسخافة عقولهم الشنيعة، وتركهم العبادة لخالقهم سبحانه وتعالى.

ومما جاء عن الأفعال الكلامية الإنكارية التي تفيد معنى التوبيخ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28] حيثُ يُعد فعلاً توجيهياً إنجازياً خرج إلى دلالة الإنكار، أي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة.[2] وهو من تمام ما أمر النبي بأن يقوله لهم، وفيه من التقريع والتوبيخ أمر عظيم، فإنّ القول بالجهل إذاً كان قبيحاً في كل شيء، فكيف إذا كان في التقوّل على الله؟ وإن في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر، وأبلغ واعظ، للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإنّ ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق.[3] وقوله: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً)، الفُحْشُ والفحشاءُ ما عَظُمَ قُبْحهُ من الأفعال والأقوال.[4] فِعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف. (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا)، اعتذروا واحتجوا بأمرين: تقليد الآباء والافتراء على الله فأعْرَض عن الأول لظهور فسادهِ، ورد الثاني بقوله: (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ)، لأنّ عادته سبحانه جرت بمعنى ترتب الذم عليه آجلاً عقلي، فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عن الطبع السليم ويستنقصه

1() التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ص: 320

2() تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ج/8، ص:264

(3) فتح القدير، ج/8، ص: 470

(4) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص:483

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

العقل المستقيم.[1] فالفعل هنا يوصف بأنّه فاحشة قبل ورود الشّرع، كأفعال أهل الجاهلية، مثل السجود للتماثيل والحجارة وطلب الشفاعة منها وهي جماد، ومثل العراء في الحجّ، وترك تسمية الله على الذّبائح، وهي من خلق الله وتسخيرِه، وكذلك البغاء، واستحلال أموال اليتامى والضعفاء، وحرمان الأقارب من الميراث.[2]

وقوله: (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، الاستفهام تضمن الإنكار والتوبيخ؛ أي: أتكذبون على الله وتنسبون إليه القبيح دون علمٍ ونظرٍ صحيح.[3] وذكر على أنّه إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبني قولهم على الجهل المفرط، وقيل: المراد بالفاحش طوافهم بالبيت عُراة.[4] والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، وتوجيه الانكار والتوبيخ إلى أقوالهم الكاذبة.[5]

إذن: الذي نراهُ أنّ الاستفهام المجازي هنا جاء إنكارياً مشوباً بالتوبيخِ الشديد، بدليل سياق الآية التي تُشير إلى فِعلة فاحشة في القبح والشناعة كعبادة الأصنام، والتقول على الله زوراً وبهتاناً، وكذلك يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، دون علمٍ ودراية. وهنا نجد بؤرة الخطاب التداولي من خلال الأفعال الكلامية الإنكارية.

وأيضاً مما جاء من الآيات القرآنية في السور المكية التي تدلُّ على الإنكار التوبيخي، قوله تعالى: (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) [الأعراف:71]، فالمغزى هنا من هذا الاستفهام يُشير إلى أنّ هناك فعل إنجازي خرج إلى دلالة الإنكار، أي: كيف تجادلون على أمور، لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتموها آلهة، وهي خالية من أية قدسية فيها، ولا مثقال ذرة.[6] وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا

(1) تفسير البيضاوي، المجلد الأول، ج/8 ، ص:540

(2) التحرير والتنوير، ج/8، ص:82

(3) صفوة التفاسير، للصابوني، المجلد الأول، ج/8، ص:441

(4) الكشاف، ج/8، ص:361

(5) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ج/1، ص:365

6() تيسير الكريم الرحمن، ج/8، ص: 271

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

دليلاً.[1] ونجد أنّ موطن الشاهد من هذه الآية الكريمة وقع في كلمة (أتجادلونني)، وهي الهمزة التي تفيد الاستفهام الإنكاري مع التهديد.[2] ومنهم من قال بأنها إنكار واستقباح لإنكارهم مجيء هود عليه السلام.[3]

وقوله تعالى: (فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا) ، في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات؛ لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الآلهة فيها معدوم محال وجوده.[4] لأنّ المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل، وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو بنصب حُجة، بيّن أن منتهى حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى، وإسنادُ الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظهاراً لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم.[5]

والفاء في قوله تعالى: (فَانْتَظِرُوا)، لتفريع هذا الإنذار والتهديد السابق، لأنّ وقوع الغضب والرجس عليهم، ومكابرتهم واحتجاجهم لما لا حجّة له، نشأ عن ذلك التهديد بانتظار العذاب.[6] ولا ريب أن هذا الاستفهام للإنكار ولكن هذا الإنكار تتبعه معان أخرى هي الزجر والتوبيخ والتجهيل. فهو يُنكر مجادلتهم إياه في الأصنام ويزجرهم على وقوعها، ويوبخهم على شناعة دعواهم وينسب إليهم الجهل الذي غيب عنهم الرؤى الصحيحة لحقائق الأمور.[7]

إذن: الذي نراهُ هنا في هذه الآية الكريمة – والله أعلم – ومن خلال السياق والخطاب التداولي أنّ الاستفهام المجازي هنا جاء إنكارياً– أصالةً– مصحوباً بالزجر التوبيخي، وذلك بدليل سياق الآية

(1) المصباح المنير، ج/8، ص:484

2() أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، عبدالكريم يوسف، ص:50

3() تفسير أبي السعود، ص:240

4() الكشاف، ج/8، ص:369

(5) تفسير البيضاوي، ج/8، ص: 552

(6) التحرير والتنوير، ج/8، ص:214

(7) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ج/1، ص:383-384

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

التي تدل على عبادة أسماء من الأصنام كانوا يتوجهون بها إلى الله، فهي لا أساس لها من الحقيقة، وهنا يأتي الرد من الله تعالى بتوبيخهم على شناعة حججهم الباطلة وعباداتهم الخاطئة.

* الإنكار مع التعجب:

إنّ من الأفعال الكلامية الإنكارية المصحوبة بالتعجب، التي جاءت في آيات السور المكية من سورة يونس، نجد في قوله تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) [يونس:2]، حيثُ يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر.[1] وقوله: (أَكَانَ)، الهمزة للاستفهام الإنكاري.[2] وهنا جاءت كان لإنكار التعجب والتعجيب منه.[3] لذا نقول: أنّ للاستفهام المستعمل في الإنكار، أي: كيف يتعجبون من ذلك تعجب إحالة. وفائدة إدخال الاستفهام الإنكاري على (كان) دون أن يقال: أعجبَ الناسُ، هي الدلالة على التعجيب من تعجبهم المراد به إحالة الوحي إلى بَشر. والمعنى: أحدث وتقرر فيهم التعجب من وحينا؛ لأن فعل الكون يشعر بالاستقرار والتمكن فإذا عبر به أشعَرَ بأن هذا غير متوقع حصوله. و(للناس) متعلق (بكان) لزيادة الدلالة على استقرار هذا التعجب فيهم؛ لأن أصل اللام أن تفيد الملك، ويستعار ذلك للتمكن، أي: لتمكن الكون عجباً من نفوسهم.[4] وقوله: (أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ)، وأن أوحينا بدل من عجباً، واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم.[5] وقوله: (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ)، أي: لهم جزاء موفور، وثواب مذخور عند ربهم، بما قدموه، وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة. فتعجب الكافرون من هذا الرجل العظيم تعجباً حملهم على الكفر به، فـ (قَالَ الْكَافِرُونَ)، عنه: (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) ، أي: بَيِّنُ السحر،

1() المصباح المنير، ج/11، ص:602

2() أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص:59

3() الكشاف، ج/11، ص:455

4() التحرير والتنوير، ج/11، ص:83

5() تفسير البيضاوي، ج/11، ص: 88

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لا يخفى بزعمهم على أحد، وهذا من سفههم وعنادهم، فإنهم تعجبوا من أمر ليس مما يتعجب منه ويستغرب، وإنما يتعجب من جهالتهم.[1]

والخلاصة: أن هذا الاستفهام لإنكار تعجب قريش من بعثة محمد –صلى الله عليه وسلم– رسولاً منذراً ومبشراً؛ لأنه تعجب ليس في محله، ولا وجه له عقلاً.[2]

إذن: الذي نراهُ هنا في هذه الآية الكريمة، أنّ الاستفهام المجازي هنا جاء إنكارياً– أصالةً– ممزوجاً بالتعجب، وذلك بدليل سياق الآية التي تدل على عجب الكفار من بعثة محمد عليه الصلاة والسلام رسولاً من عند الله تعالى، فضلاً عن تقديم الإنذار على التبشير للتناسب بينه وبين التعجب.

وهنا نجد دلالة ومغزى الخطاب التداولي من خلال خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى دلالة ومعنى الإنكار التعجبي.

وأيضاً مما جاء عن الآيات القرآنية في السور المكية التي تدل على الإنكار التعجبي، قوله تعالى: (قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ) [هود:72]، حيث نلاحظ في قصة إبراهيم –عليه السلام– أبو الأنبياء حين جاءته الملائكة، وكان قد كبر، وأمرأته عقيماً، وبشرته بإسحاق من صلبه ورحم امرأته، دهشت أمراته وهي تسمع بشرى الملائكة، وتعجبت كيف تلد وهي وزوجها قد شاخا؟.[3]

إذ نجد هنا من هذا "الموقف العجيب والمدهش" أن ما يدل على أن هناك مانعان من وجود الولد.[4] أي: أن يولد ولد من هرمين، وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله، وإنما أنكرت عليها

1() تيسير الكريم الرحمن، ج/11، ص: 334

2() التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ج/2، ص:34

3() التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ج/2، ص:110

4() تيسير الكريم الرحمن، ج/12، ص: 362

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الملائكة تعجبها.[1] فكان الردُّ فلا تعجبي من هذا وإن كنتِ عجوزاً عقيماً وبعلُك شيخاً كبيراً، فإن الله تعالى على ما يشاء قدير.[2]

وقوله تعالى: (ءَأَلِدُ) ، الهمزة هنا للاستفهام التعجبي.[3] أي: مستعمل في التعجب. وجملة "أنا عجوز" في موضع الحال، وهي مناط التعجب.[4]

وزادت من تقرير التعجب في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَشَىءٌ عَجِيبٌ)، وهي جملة مؤكدة لصيغة التعجب، فلذلك فصلت عن التي قبلها لكمال الاتّصال، وكأنّها كانت متردّدة في أنهم ملائكة فلم تطمئن لتحقيق بشراهم.[5] يعني الولد من هَرِمَيْن، وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة على الإنجاب في السن من العمر.[6] والخلاصة: أن الاستفهام في قول زوج إبراهيم: أألد استفهام تعجب مشوب بالإنكار، أو تعجب متفرع عن الإنكار، إذْ لم تجر العادة أن تلد النساء اللاتي في سنها. وهذا وارد بالنظر إلى طبيعة البشر إذا عراهم أمر مستغرب.[7]

إذن: الذي نـراهُ في هذه الآية الكريمة أنّ الاستفهام المجازي هنا جاء إنكارياً مصحوباً بالتعجب والدهشة، وذلك بدليل مقام وسياق الآية التي تدل على الأمر والموقف المدهش من الولد من هَرِمَيْن، وهو أمر غير معتاد من حيث العادة، وهنا جاءت التداولية التواصلية، ممزوجةً بالإنكار من هذا الموقف العجيب من التحاور ما بين زوجة إبراهيم –عليه السلام– والملائكة. وهنا نرى قمة التداولية التحاورية من خلال الأفعال الكلامية الإنكارية.

1() الكشاف، ج/12، ص:491

2() المصباح المنير، ج/12، ص:643

3() أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص:66

4() التحرير والتنوير، ج/12، ص:120

5() المصدر نفسه... ص:121

6() تفسير البيضاوي، ج/12، ص: 140

(7) المصدر السابق... التفسير البلاغي للاستفهام، ص:111

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فتماشياً مع ما تم ذكره ومن خلال هذه الآية الكريمة في النص القرآني –المكي– على وجه التحديد، وما دار من حوار إنكاري تعجبي مشوباً بالذهول والاستغراب ما بين الملائكة وزوجة النبي إبراهيم –عليه السلام– حيث نصل إلى مجموعة من الأفكار والمعاني العميقة، أو بالأحرى تتولد لدينا الكثير من الإشارات البلاغية، والمفاهيم الخطابية، التي تتكون من خلال هذا التحليل المنطقي، والتفسير التداولي للأفعال الكلامية فمنها:–

1	أنه نص حواري تداولي.
2	جاء بصيغة الاستفهام وأداته الهمزة.
3	جمالية المحاورة تمنح الخطاب طابعاً إنجازياً.
4	امتزجت فيه دلالة الإنكار بمشاعر التعجب التأثيري.
5	أن هناك مناسبة وموقفاً معيناً يستدعي الوقوف والتأمل العميق.
6	ومن خلال هذا الموقف ترتب عليه سلسلة أحداث ومحتويات ضمنية.
7	هذهِ الأحداث جعلت من الموقف الخطابي غير المباشر ذات دلالة إنكارية.
8	فهذهِ الأفعال الكلامية الإنكارية جعلت من التحاور مركزاً مهماً للتطبيق والإنجاز.
9	حيث يستدعي لنا هذا الحدث الخارق للعادة نوعاً من التعجب والدهش في تصور الموقف.
10	السياق هنا يدل على معنى الاستغراب.
11	وما خرج عن العادة غالباً ما يكون مستغرباً ومستنكراً
12	مشاعر الدهشة بهذ المشهد الوجداني، والانفعال من خلاله
13	هناك قدرة ومقدرة إلهية في تغيير الواقع الذي كان يُعدُّ مستحيلاً.
14	هذهِ القصدية جاءت بالمعجزات؛ لتثبت صدق البلاغ من الله سبحانه وتعالى.
15	النص هنا يدعو المتلقي إلى التدبر، ولفت الانتباه، وكذلك أخذ الموعظة والعبرة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

***الإنكار مع السخرية:**

ومما جاء عن الأفعال الإنكارية التي ترمي إلى الاستهزاء والسخرية، قوله تعالى: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [هود:87]، حيثُ كان شعيب –عليه السلام– كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ)، السخرية والهزء، والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز.[1] ويقولون ذلك على سبيل التهكم.[2] أي: قالوا ذلك على وجه السخرية بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له. ومعنى كلامهم: أنه لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله، وتتعبد له، أفإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل، إلا أنه موافق لك، أي: كيف نتبعك، ونترك آباءنا الأقدمين.[3]

والهمزة هنا في قوله: (أَصَلَاتُكَ)، جاءت حرف استفهام إنكاري للسخرية والاستهزاء.[4] وقوله سبحانه وتعالى: (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ)، أي: وأن نترك فعلنا ما نشاءُ في أموالنا. وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك. (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)، أي: تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك.[5]

ومما تقدم، فقد كانت الصلاة العماد عند جميع الرسل. وكان المكذبون الملحدون قد تمالوا في كل أمة على إنكارها والاستهزاء بفاعلها، فلما كانت الصلاة أخص أعماله المخالفة لمعتادهم جعلوها المشيرة عليه بما عابه عليهم من أمور مخالفة لمعتادهم –بناء على التناسب بين السبب والمسبب في مخالفة المعتاد قصداً للتهكم به والسخرية عليه تكذيباً له فيما جاءهم به.[6]

1() الكشاف، ج/12، ص:494

(2) المصباح المنير، ج/12، ص:645

3() تيسير الكريم الرحمن، ج/12، ص: 363

4() أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص:66

5() تفسير البيضاوي، ج/12، ص: 145

6() التحرير والتنوير، ج/12، ص:141

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

والخلاصة: أن الاستفهام –هنا– جاء استفهام إنكار وسخرية حسبما أملى عليهم الشيطان الرجيم.[1]

إذن: الذي نراهُ في هذه الآية الكريمة – والله أعلم– أنّ الاستفهام المجازي هنا جاء إنكارياً مصحوباً بالسخرية والاستخفاف، وذلك بدليل مقام وسياق الآية التي تدل على أن المستهزئين من قوم شعيب قد تمادوا واستهزؤوا بما جاء به نبيهم، قصداً للتهكم به والسخرية منه، وتكذيباً له فيما جاءهم به، وهنا نرى القمة الإنجازية في تحاور النبي شعيب مع قومه، من خلال الأفعال الكلامية الإنكارية.

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)

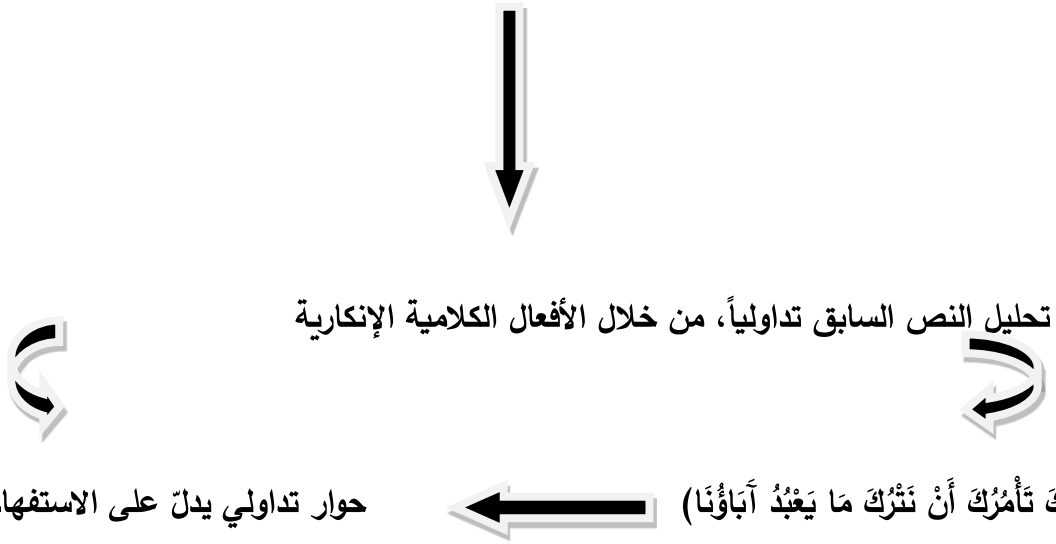

المتأمل في بنية الحوار يُدرك أنّ هذهِ الآية الكريمة لها أبعاد تداولية تحمل في حيثياتها مضامين خطابية تهدف إلى إظهار الاستبعاد والتعنت في موقفهم التهكمي ضد النبي شعيب –عليه السلام– مع

1() التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ج/2، ص:118

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الإصرار على العادات والتقاليد السيئة التي تناقلوها عن آبائهم، إذ جعلوا جُلَّ اهتمامهم وتركيزهم على المال في حياتهم. وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على إنكارهم لترك ما تعودوه من نقص الكيل والميزان، بعد إنكارهم لترك عبادة الأصنام والأوثان.

*** الفعل اللفظي: ⟸ النص الأساسي ⟸ جملة استفهامية تدل على الإنكارية.**

(يستبعدون أن يكون لأوامر صلاته تأثير عليهم).

*** الفعل الإنجازي: ⟸ القصد والغاية ⟸ جملة إخبارية تحمل في طياتها عدة معاني،**

(خطاب تهكمي يدل على السخرية والاسخفاف).

*** الفعل التأثيري: ⟸ الأثر الذي يتركه القول في نفس المتلقي ⟸ إنكار ورفض،**

(امتناعهم وإنكار منهم لترك الأصنام التي توارثوها عن آبائهم).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

نتائـج البحـث

وجدّنا أنّه من أبرز النتائج الرئيسة التي توصلنا إليها من خلال المبحثين الأول والثاني.

1- بحسب تداولية الأفعال الكلامية تُعدّ اللغة من حيث الاستعمال هي مجموعة من الإنجازات القولية المتنوعة والمختلفة بحسب المقاصد والأغراض المنوط تحقيقها أثناء عملية التواصل. وليست اللغة هي مجرد أداة للتفكير أو لوصف الأنشطة الإنسانية المختلفة، بل وظيفة اللغة تكمن في الوصول إلى نقطة في غاية الأهمية هي التأثير في العالم وصناعتهِ.

2- ونجد أنّ الآية القرآنية بشكلٍ عام، لها الكثير من المقاصد والمعاني التداولية، لا تقتصر أو ترتبط ببنيتها التركيبية؛ أي: من خلال التركيبة اللفظية فقط، بل تسعى للوصول إلى أبعد من ذلك، آلا وهو المكمن الاستعمالي في الإنجاز، الذي يكون خلف التراكيب النحوية والمعاني الدلالية.

3- ومن خلال البعد التداولي لأي نص وخصوصاً النص القرآني تتولد لدينا العديد من الأفعال الإنكارية، ولا سيما في الأحداث والقصص التي عبر عنها الخطاب القرآني، من الإخبار بوحدانية الله تعالى وكل ما يتعلق بمسائل العقيدة الإسلامية. والتوجيهية من خلال أفعال الاستفهام والأمر والنهي، وقد اختلفت هذه الأفعال في قوتها التداولية، أي: قوتها الإنجازية في توجيهيها مراعاةً للمقام وكذلك أحوال المخاطبين، لذا جاءت هذه الأفعال الإنكارية لدحض المشركين بما هو حجة إقناعية ودلالة برهانية تحقيقاً لمقاصد وغايات الخطاب القرآني المكي في هذه الآيات، من خلال التأثير في المتلقي وتوجيهه إلى فعل عمل أو تركه.

4- وسعت هذه الدراسة إلى محاولة البحث عن كل ما هو مرتبط بقضية المقاصد والأغراض الإنجازية من سور القرآن الكريم المكية، من خلال عنصر القصد التداولي المتعلق بالإنكارية، أي: تتبع كا ما هو متعلق بالأثر التداولي والسياق الإيصالي عبر بؤرة الأفعال الكلامية في الآيات المكية؛ وذلك من أجل الوصول إلى نقطة جوهرية ومبدأ أساسي هو الإقناع، وكل ما هو منطقي ويدل على الاستدلال البرهاني المتمثل بالخطاب الحجاجي في القرآن الكريم.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

5- **وبالمناسبة نرى أنّ تأويل اللفظ الظاهر لا يكفي في إثبات ما هو موجود أو ظاهر في السياق النصي أو الخطابي، بل لا بدّ من أن تكون وراءه من الأغراض والمقاصد التداولية ما تكون هي المهمة في العملية التواصلية، وهي الرسائل المقصودة من قبل المتكلم، وعلى المتلقي أن يصل إلى المعاني الثاوية خلف ما يقصده ويريده الباث منه.**

وهنا يتضح أنه لا يقتصر المعنى على الكلام الصريح المباشر، بل هناك المعنى السياقي غير المباشر والذي يُسمّى (بمعنى المعنى) الذي تكون خلفه البنيات اللفظية، وحاملة لاقتضاءات مقصودة وقوة حجاجية في استعمال الكلام ما بين المتحاورين في سبيل إثبات الآراء وإقناع المتلقي، وهذا يحتاج إلى قوة إقناعية تجبر المتلقي على الذهاب خلف ما يريده المرسل منه.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فهرس المصادر والمراجع

- **أولاً :القرآن الكرِيم .**
- **ثانياً :الكتب المطبوعة :-**

1. الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ط1، 2011م.
2. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم – غرضه – إعرابهُ، عبد الكريم محمود يوسف، مطبعة الشام – دمشق، ط 1، 2000م.
3. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي, مثنى كاظم صادق, تنظير وتطبيق على السور المكية, كلمة للنشر والتوزيع, تونس, ط/1، 2015م.
4. آفاق التداولية في النصوص النثرية، محمد عبدالسلام الباز، تقديم: محمد العمروسي، دار النابغة للنشر والتوزيع- كفر الشيخ- مصر، ط1، 2015م.
5. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار الفكر – بيروت، (د- ط) 1996م.
6. التداولية اصولها واتجاهاتها، جواد حتام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٦.
7. التداوليـة – جورج يـول، ترجمـة: قصي العتابي، دار العربية للعلوم، بيروت، ط 1، 2010م.
8. التداولية عند العلماء العرب دراسةٌ تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط 1، تموز 2005م.
9. التداولية اليوم-علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوش و.محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة بيروت- لبنان ط1، 2003م.
10. التداولية واستراتيجية التواصل، ذهبية الحاج حمو، دار رؤيـة للنشر – القاهرة ط 1، 2015م .

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

11. تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لقاضي القضاة: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان (د–ط)،1994م.
12. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، 4 أجزاء مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، 2007م.
13. تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي: ناصرالدين البيضاوي(ت791هـ) دار الرشيد– دمشق، ط1، 2000م.
14. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار التونسية للنشر – تونس (د–ط) 1984م.
15. تفسير القرآن الكريم– محمد بن العثيمين(2001م)، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1433هـ.
16. التوقيف على مهمات التعاريف، الشيخ محمد بن عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي، حققه وعلق عليه: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 2011م.
17. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ط1، 2003م.
18. خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، د. عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط 1، 2014م.
19. صفوة التفاسير– تفسيرٌ للقرآن الكريم – للشيخ : محمد علي الصابوني – دار الصابوني للطباعة والنشر–القاهرة ، ج/3، ط 1، 1997م.
20. العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في العالم الواقعي– جون سيرل، ترجمة وتقديم: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط1، 2011م.
21. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (1250هـ)، اعتنى به وراجعه: يوسف غواش، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط 5، 2008م.
22. في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم – خليفة بو جادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، سطيف – الجزائر، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

23. الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله الزمخشري، رتبه وضبطه وصححه: محمد شاهين، ط5، دار الكتب العلمية – بيروت، 2009م.

24. اللسانيات– اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 1، 2009م.

25. اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار الأمان– الرباط، ط1، 2015م.

26. لسانيات النص – النظرية والتطبيق – مقامات الهمذاني أنموذجاً، ليندة قيّاس، وعبدالوهاب شعلان، مكتبة الآداب – القاهرة، ط1، 2009م.

27. لغة الخطاب الإداري، فريدة لعبيدي، الوسام العربي للنشر والتوزيع الجزائر، ط 1، 2011م.

28. مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر– الجزائر، ط2، 2006م.

29. مدخل إلى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد، بيروت– لبنان، ط1 2004م.

30. مدخـل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ترجمه: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، 1992م.

31. المدخل إلى علم اللغة، كارل– ديتر بونتنج، ترجمه وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 2، 2010م.

32. المصباحُ المُنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، إعداد: جماعة من العلماء بإشراف/ صفي الرحمن المبار كفوري، دار السلام، الرياض– السعودية، ط2، 2000م.

33. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس لهوميل، عالم الكتب الحديث، إربد ط 1، 2014م.

34. المفردات في غريب القرآن، المعروف بـ" الراغب الأصفهاني"، مكتبة نزار مصطفى الباز.

35. المقاربة التداولية، فرنسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع – الدار البيضاء، ط 1، 1987م.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

36. من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، رضوان الرقبي، تقديم: إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2018م.

37. المنحى التداولي في التراث اللغوي الأمر والاستفهام نموذجين، خديجة محفوظ الشنقيطي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2016م.

38. النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، د. محمد سويرتي، أفريقيا الشرق – المغرب، 2007م.

39. نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام – جون لانجشو أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق – المغرب، ط2، 2008م.

40. الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، نورالدين أجعيط، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط1، 2016م.

- ثالثاً : البحوث والدراسات المنشورة في المجلات والدوريات الجامعة :-

41. الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مسعود صحراوي، جامعة الأغواط، مجلة اللغة العربية- العدد العاشر.

42. مجلة الأقلام، فصلية فكرية ثقافية، ملف التداولية، د. عيد بلبع، وجبار سويس الذهبي، ومؤيد عبيد، العدد: الخامس، 2008م

43. نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة، محمد مدور، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرادية – الجزائر، العدد: 2012/16م.